ثقافة البادية في شعر أبي شُرَاعة القيسي (ت280هـ)

د. وجدان مقداد*

(الإيداع: 18 آيلول 2024، القبول: 12 تشرين الثاني 2024)

الملخص :

يكشف البحث عن عناصر الثقافة البدوية التي اتّخذها أبو شُراعة القيسي الأساس في تشكيل معانيه الشعرية مما وصل إلينا من شعره، وهي في معظمها مما كان متداولاً لدى الشعراء العرب القدامى مع اختلاف كل منهم في أسلوب توظيفها في أبنيته الشعرية. وإن كان أبو شراعة قد استطاع أن يضيف انفعالاته الخاصة، ورؤيته الإبداعية المختلفة لمعانيه الشعرية، إلا أن معظم ما وصلنا له كان تأثير الثقافة البدوية، التي خرجت من رحم الجزيرة العربية مع شعراء الجاهلية ومن تبعهم من شعراء العربية بعد هذا التاريخ، فيه واضحاً، واستناده إلى عناصرها بيّناً، علماً أنه لم يكن من أهل البادية، بل عاش حياته في البصرة في زمن تغيّرت فيه البيئة المحيطة وانفتحت الثقافة العربية على الآخرين، وتأثّرت البيئات الشعرية بالتغيرات الحضارية والاجتماعية والفكرية التي أحاطت بالمجتمع العباسي آنذاك. فكان لابد من التعريف بشخصية أبي شراعة ومصطلحات البحث الأساسية المتمثلة بالثقافة البدوية لغة واصطلاحاً. فضلاً عن الكشف عن دلالاته الشعرية التي تأثّر فيها بالثقافة العربية البدوية التقليدية، إذ ظهرت لديه العديد من القيم السلوكية والاجتماعية المرتبطة بهذه الثقافة؛ الكرم والإشادة بالنسب والأصول ومكارم الأخلاق التي تحض على رعاية العهد والوفاء به، وعلى سمات الفتوة والرجولة التي يجب أن يتمتع بها الفرد في مجتمعه، وعلى حب الأقارب رغم جورهم، كما كان حضور المرأة في شعره وأسلوب توظيفه يتوافق مع حضورها في الثقافة الشعرية البدوية وأساليب توظيفها. وقد استلهم البحث رؤيته من قراءة متعمّقة لما وصل إلينا من شعر أبي شراعة عبر مجموعه الشعري القليل الذي جُمِع في أكثر من محاولة، معتمداً على المنهج التحليلي الوصفي للوصول إلى النتائج المرجوة، والتي كانت تتمحور حول انطلاق الشاعر من ثقافته البدوية التقليدية الأصيلة المتجذّرة في نفسه لإثبات المقدرة الشعرية المتميزة لديه وأنه، وإن امتلك نواة المعنى الشعري لغوياً ومعنوياً، إلا أنه أسبغ عليه من مقدرته الخاصة ونفسه المحبة لأصوله وثقافته العربية الغنية ما يجعله شاعراً مهماً افتقد المكانة الشعرية المستحقة نتيجة ضياع شعره، وعدم وصوله إلينا كاملاً، كما كان تأثره بالمحدث شيئاً لا يُذكر أمام انجرافه مع تيار القديم وثقافته وعناصره المؤثرة.

الكلمات المفتاحية: ثقافة البادية– شاعر مغمور– أبو شُراعة القيسي.

*مدرس – اختصاص الأدب العباسي– قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الأنسانية – جامعة حماة.

Bedouin Culture in the Poetry of Abu Shraa AlQaisi (Deid in 280 AD)

Wejdan Almokdad*

(Received: 18 September 2024 , Accepted: 12 November 2024)

Absract:

This study tries to explore the elements of Bedouin culture that Abu Shraa used to form his poetic meanings as seen in his poetry which survived to reach modern readers. Most of his poetic meanings was prevailing among ancient Arab poets with some variations in the style of poetic structures. Although Abu Shraa could add his own emotions and distinctive creative vision to his poetic meanings, most of his poetry was clearly influenced by Bedouin culture. It is evident that Bedouin culture which sprang from Arabian Peninsula (Jazeera) at the hands of Jahelia poets and post Jahelia ones had a distinct influence on Abu Shraa's use of its elements although he is not Bedouin. He lived in Busra in a flourishing environment where Arabic culture was open to other cultures and the poetic contexts were influenced by cultural, social and intellectual changes that affected Abbasi society. Accordingly, it is important to acknowledge Abu Shraa's personality and to study the key terms relevant to Bedouin culture both lexically and contextually.Thus, this study explores the poetic connotations of traditional Bedouin Arab culture that affected Abu Shraa since many behavioral and social values related to this culture appeared in his poetry such as: generousity, pride in family and tribe, ethics of loyalty, faithfulness, commitment, bravery, manness, and love towards relatives even if they were cruel. Moreover, woman's presence in Abu Shraa's poetry and his style of emplying her status go in accordance with Bedouin culture. The study has been inspired by a deep reading of the available Abu Shraa's poetry that has been gathered in more than one attempt. The study has used the descriptive analytical approach to get its results:–The poet started from his original traditional Bedouin culture rooted in himself to prove his distinguished poetic ability.–Having the essence of poetic meanings linguistically and semantically, he added his own capacities and his loving soul towards his origin and rich Arabic culture.–He was a significant poet even if he lacked the deserved poetic canon die to the loss of his poetry.–He was very little influenced by innovative poetry in comparison to his great preference of originality school, its culture and affecting elements.

Key words: Bedouin Culture –An obscure poet –Abu Shraa AlQaisi

* **Lecturer – Specialization in Abbasid Literature – Department of Arabic Language – Faculty of Arts and Humanities – University of Hama.**

المُقدّمة:

أثبت بعض شعراء العصر العباسي الأول؛ عصر الغنى الحضاري والفكري والاقتصادي، المتغيّر اجتماعياً وثقافياً عمَّا سبقه من عصور، والمنفتح على ثقافات الأمم الأخرى والمتمازج مع حضاراتها[1]، أن سند البادية وثقافتها لم ينقطع لديهم، وأن ثقافة الصحراء التي عُرف بها الشعر العربي القديم المعتمدة؛ دلالياً على قيم معنوية عُرف بها، وفنياً على بساطة الصورة ووضوحها وتركيبها عبر أدوات الشعر الجاهلي البلاغية والموسيقية والأسلوبية، ظلّت متجذرة في نفوسهم مقابل موجة المحدثين التي انتشرت في هذا العصر، وإن كان هؤلاء قد تأثّروا بالجديد تأثراً طبيعياً تفرضه المعاصرة والتغيرات البيئية المحيطة، إلا أن منحى الأصالة المرتبط بالثقافة التي أسّست للشعر العربي لم تخبُ جذوتها في نفوسهم، وأنّ الشعر مهما تطوّر وتغيّرت أحواله بتطوّر الحضارة حوله وتغيّرها إلا أنه يقوم في جوهره على أصول لا تنقطع صلته بها وإن غيّر في مفرداته وشكّل في تراكيبه وأساليبه، إذ قد يطغى العنصر البدوي على واقع الشاعر الحضري بصوره وأخيلته وعناصر ثقافته.

فالشعر الذي قدّمه بعض هؤلاء التزم بالأصول التي درجت عليها القصيدة العربية منذ بداياتها في الشعر الجاهلي، ولم يكونوا بحال من الأحوال معنيين بالتصنيفات التي ظهرت لاحقاً، واتخذها النقاد والباحثون أساساً في دراستهم للشعر والشعراء من تصنيفهم إلى مجددين ومقلدين[2]، وإن لم يكونوا دائماً بمنأى عن التأثّر بالتغيّرات البيئية الجديدة والألوان الحياتية المعاصرة والانفتاح على الثقافات المختلفة، إلا أنّ السائد لديهم كان روح البداوة وثقافتها الأصيلة التي لم تغادر نفوسهم، وظهرت جلية في طيات أشعارهم؛ فالثقافة والموروث هما اللذان يعطيان الوقود للموهبة الشعرية.

وقد نبغ من العباسيين أدباء رفدوا المكتبة العربية بتراثٍ قيّمٍ، منهم من علا صيته، وشاع شعره، وتعاقبت الأجيال على حفظ إنتاجاته ودراسته، ومنهم من أغفل الاقدمون ذكرهم، ولم يصل إلينا شعرهم إلا في حدود ما ورد متناثراً في تضاعيف كتب التراث؛ فكان من المغمورين **كأبي شُراعة القيسي** الذي لم يحظَ شعره بالحفظ لأسباب غير واضحة، وما وصلنا من أشعاره في حدود مقطوعات قصيرة غير كاملة عمل على جمعها والإشارة إلى التصحيفات فيها بداية؛ د. إبراهيم النجار في كتابه "شعراء عباسيون منسيون"[3]، معتمداً على جملة من كتب التراث كان أبرزها كتاب "الأغاني" للأصفهاني؛ الذي ورد فيه معظم أشعار أبي شراعة التي وصلتنا وأخباره.

أمّا المحاولة الأخرى فجاءت في بحث صادر عن مجلة آداب البصرة بعنوان:" شعر أبي شُراعة القيسي جمع وتوثيق"[4]، وهي لا تعدو المحاولة المكررة لجمع الأشعار التي سبق أن أشار إليها الكتاب السابق، ثم أصدرها شاكر العاشور[5] في ديوان مكون من (90) صفحة من القطع الصغير، وهو ما سيعتمده البحث في توثيق شعر أبي شُراعة؛ إذ استفاد من جهود السابقين في التدقيق والتصحيف الوارد في بعضها.

([1]) ينظر: ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف المصرية، القاهرة، ط1، 1960، الجزء الثالث، وينظر: سلام ، محمد زغلول: دراسات في الأدب العربي: العصر العباسي "منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث"، منشأة المعارف، الإسكندرية.

([2]) ينظر: هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، 1963ص 157–175

وينظر: البهبيتي، محمد نجيب: تاريخ الشعر العربي ، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1961 ص 472

وينظر: عطوان، حسين: الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مكتبة المحتسب، عمان، 2005 ص 429

([3]) النجار، إبراهيم: شعراء عباسيون منسيون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، القسم الثاني: الجزء الأول. ص139–152

([4]) المظفر، بيان: شعر أبي شراعة القيسي جمع وتوثيق، مجلة آداب البصرة، ع 65، 2013.ص73- 98

([5]) القيسي، أبو شراعة: شعر أبي شراعة القيسي ، صنعة: شاكر العاشور، دار تموز، دمشق، ط1، 2011

ولعل السبب في اختيار البحث لهذا الشاعر هو: محاولة تبيان تأثّره العميق بثقافة البادية والصحراء، وهو الذي عاش في كنف الحضارة العباسية؛ مؤْثراً تقاليد البادية وعاداتها الإيجابية، وإظهار جمالية توظيفها في شعره؛ للإضاءة على شعر شاعر عباسي مغمور، ورصد عناصر ثقافته البدوية، واستنباط إمكاناته الأدبية وطاقاته الإبداعية، والتعرّف من خلال جزء من مقطوعاته الشعرية إلى مكانة كان من الممكن أن يحظى بها كأقرانه من الشعراء العباسيين المعروفين.

ولذلك اعتمدت الدراسة على الوصف والتحليل في إظهار العناصر والخصائص البدوية في شعر أبي شُراعة، وذلك من خلال الولوج إلى خبايا أبياته الشعرية، ومعانيها، وبنياتها الدلالية والفنية، وقد اعتمد البحث في ذلك على مصطلحات أساسية منطلقاً له كان من أبرزها:

❖ **مفهوم الثقافة:**

الثقافة في اللغة: أصل الثقافة في اللغة مأخوذ من الفعل الثلاثي" ثقف"؛ ويقال للرجل "ثَقِف لَقِف، وذلك أن يصيب علماً على استواء"[1]، وتطلق في اللغة على معانٍ عدة؛ فهي تعني: الحذق والفطنة، والذكاء، وسرعة التعلّم، وتسوية الشيء وإقامة اعوجاجه، والتأديب والتهذيب، والتعليم[2]. وتتبّع المعاني اللغوية التي أوردتها المعاجم يجعل الباحث يدرك أنها لم تعطِ معنى كلمة الثقافة إلا في إطار دلالتين اثنتين هما: الحذق والذكاء وسرعة التعلم والبديهة من جهة، وتسوية الشيء وتقويمه من جهة أخرى، لكن ورد ذكرها في القرآن الكريم أيضاً مرتبطاً بالأعداء[3] كما في قوله تعالى:{واقتلوهم حيث ثقفتموهم}[4]؛ فتكون بمعنى: صادفه أو ظفر به أو أدركه.

أما في الاصطلاح: فتشير إلى مجموع المعارف المكتسبة التي تسمح بتنمية الذوق وحاسة النقد، والقدرة على الحكم على الناس والأمور والأشياء[5]؛ فالثقافة تركّز على الجوانب النظرية والفكرية والمعرفية والفنية والجمالية لمجتمع ما، وأول من عرّفها بمعناها الإنساني الواسع "إدوار تايلور" حين أشار إلى أنها: "تلك الوحدة الكلية المعقدة التي تشمل المعرفة والإيمان والفن والأخلاق والقانون والعادات، بالإضافة إلى أي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع"[6].

كما يشير مفهوم الثقافة إلى "حصيلة المعارف المتنوعة التي يحصلها الإنسان عبر مراحل تعليمه وتعلّمه المختلفة، ومسيرة خبرته الحياتية التي جرى فيها التفاعل بينه وبين بيئته؛ بمعنى أنها ذلك النسيج الكلي الشائك المعقد الذي تتداخل فيه الفكر والمعتقدات والاتجاهات والقيم والعادات والتقاليد وأنماط السلوك"[7]؛ لذلك تمثّل الثقافة خصيصة من خصائص الفرد والمجتمع على السواء، وعليه يأخذ " المفهوم العام للثقافة طابع الشمولية على نحو واسع، ويشتمل في إطار عموميته هذه على الغايات المطروحة والمعلنة، فالثقافة في واقع الأمر كلٌّ مكتسب مشترك بين أفراد الجماعة، وتشمل أيضاً على أشكال التعبيرات المختلفة والفعاليات المتنوعة التي تنبثق عن النظام المعرفي المكتسب"[8]، وهي أيضاً "كل ما فيه استثارة للذهن

([1]) ابن قارس: أحمد: مقاييس اللغة. تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979 مادة، ثقف.

([2]) ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة، تح: علي حسن هلالي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1967 ، مادة ثقف، وينظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1997، مادة: ثقف.

([3]) ينظر: آل عمران/ 112 والأحزاب/61 والنساء/91...

([4]) البقرة/191

([5]) ينظر: حموي، صبحي وآخرون: المنجد في اللغة المعاصرة، دار المشرق العربي، 2000، ص 162

([6]) غيرتز، كليفورد: تأويل الثقافات، تر: محمد بدوي، مراجعة، بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص 8

([7]) الشعلاني، ناصر: قراءة في مفهوم الثقافتين عند سي بي سنو، جامعة الزاوية، المجلة الجامعة، ع 20، مج:2، أكتوبر 2018 ص 3

([8]) مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1983،، ص58

وتهذيب للذوق وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو المجتمع...، ولها طرق* ونماذج عملية وفكرية وروحية، ولكل جيل ثقافته التي استمدها من الماضي، وأضاف إليها في الحاضر، وهي عنوان المجتمعات البشرية"[1].

مع تعدّد هذه التعريفات لمصطلح الثقافة وتحديد مفهومها، نجد أن معظمها ينظر إلى الثقافة عبر أحد اتجاهين: فهي في الاتجاه الأول "تتكوّن من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والاتجاهات والأيديولوجيات وغيرها من المنتجات العقلية، أمّا الاتجاه الآخر؛ فيربط الثقافة بنمط الحياة الكلي لمجتمع ما، والعلاقات التي تربط بين أفراده وتوجهات هؤلاء الأفراد في حياتهم"[2] .

لذا يمكن أن نقول: إن الثقافة العربية هي كل ما يوضح طبيعة الحياة الاجتماعية والفكرية عند العرب، وتسهم في توضيح مكونات المجتمع العربي وقيمه الأصيلة الخاصة به، وبالضرورة يكون للغة العربية دور أساس في نقل هذه المنظومة الفكرية بصورتها الحقيقية إلى الآخرين. ومن هنا، ورغم عدم إدراك المجتمع العربي القديم لمصطلح الثقافة المعاصر كما ورد في تعريفاته السابقة، إلا أنّ الشاعر العربي القديم أسهم بشكلٍ غير واعٍ في الحفاظ على ثقافة المجتمع والبيئة المحيطة به من خلال معارفه الخاصة ومعتقداته وأخلاقه التي آمن بها، ودعا إليها، كما سنرى في شعر **أبي شُراعة القيسي** الذي انتمى إلى عصر اختلفت حضارته عن القديم، إلا أن ثقافة ذلك القديم ظلت مسيطرة على عقل بعض شعراء المجتمعات العربية اللاحقة ووجدانها.

❖ **مفهوم البادية:**

البادية في اللغة: ورد في لسان العرب لابن منظور أنّه "بّدا الشيءُ يَبْدو بَدواً وبُدُواً وبَداءً وبَداً... ظهر. وأبدَيْتُه أنا: أظهرته. وبُدَاوة الأمر: أول مايَبدو منه... وأهل المدينة يقولون بَدِيْنا بمعنى بدأنا. والبَدو والبَادية والبَدَاةُ والبَداوةُ البِدَاوةُ: خلاف الحضر"[3]، والبادية "اسم للأرض التي لاحضر فيها أي لامَحَلَّة فيها دائمة، فإذا خرجوا من الحَضَر إلى المراعي والصحارى قيل: بَدَوا بَدْواً"[4]، وبالنظر إلى معاني البادية التي ترددت في معظم المعاجم اللغوية نجد أنها في معظمها تدل على الظهور والبروز، فقد سميت البادية بادية لظهورها وبروزها، كما تشير إلى الفضاء الشاسع من الأرض الذي فيه المرعى والماء ولا عمارة فيها، والجمع بوادٍ وباديات، ولها معانٍ تدل على أول الشيء وافتتاحه أيضاً[5].

إنّ المعاني والدلالات المرتبطة لغوياً بالبادية بالمعطيات المعجمية السابقة تكاد تكون أقرب ارتباطاً إلى المفهوم الاجتماعي للبداوة من حيث هي منهج حياة له قوانينه وثقافته التي يغلب عليها الخشونة المتأتية من عدم الاستقرار بحثاً عن الماء والكلأ[6]، لذلك دلّت **البداوة في مفهومها الاصطلاحي** العام على نمط من العيش القائم على التنقّل الدائم للإنسان في طلب الماء والكلأ حول مراكز مؤقتة، تتوقّف مدة الاستقرار فيها على وفرة الموارد المطلوبة وكميتها من جهة، وكفاية

*طرق: الصحيح طرائق.

([1]) ميكشيللي، إليكس، الهوية، تر: علي وطفة، دار النشر الفرنسية، دمشق، 1993 ص 27

([2]) مجموعة من الكتاب: نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، مراجعة: الفاروق زكي يونس، سلسلة عالم المعرفة، ع 223، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1997 ص 10

([3]) ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، مادة: بدا. وينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة: بدا

([4]) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، 1985، مادة: بدا

([5]) ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة: بدا

([6]) اليوزبكي، مؤيد: البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام، سلسلة رسائل جامعية، دار الشؤون الثقافية العامة، جامعة ميشيغان، 2008، ص 52

الوسائل الفنية المستعملة لاستغلال هذه الموارد من جهة أخرى، ومدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر من جهة ثالثة[1]، ولذلك صاغت حياة البادية حياة أفرادها على نحوٍ يتناسب مع هذه الخصوصية.

وقد هيمنت البيئة البدوية على الشاعر العربي قديماً، وفرضت مفرداتها عليه، وجاءت في تكوينها وصياغتها بعيدة عن الخيال المغرق، وملائمة للثقافة السائدة في مجتمعاتها، ودفعت الشاعر إلى حياة تنسجم مع تلك البيئة القاسية الخشنة بما فيها من رمال وقلة موارد وشظف العيش، إلا أنه كان متأثّراً ومؤثّراً بعاداتها وتقاليدها والقيم المصوغة فيها، حسب ما قدّمته تلك البيئة، وظل بعض الشعراء حتى العصر العباسي متمسكين بهذه الثقافة والقيم المنبثقة عنها، ومنهم **أبو شُراعة**؛ إذ لم يرضَ بديلاً منها، ورسم صورة الرجل الكامل من خلالها، ووجد مجالاً للتعبير عمّا يختلج في نفسه عبر تلك الثقافة التي قدّمت مثالاً جديراً بالاحترام للفرد في داخلها، وامتدّ هذا الأثر من الجزيرة العربية إلى الشام والعراق مكاناً، ومن الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي إلى العباسي زماناً؛ فمن هو أبو شُراعة القيسي؟، وماهي عناصر الصورة البدوية ودلالاتها المعنوية والشعرية بخصوصيتها الفنية والثقافية في مقطوعاته؟.

❖ **أبو شُراعة القيسي:**

هو أحمد بن محمد بن شُراعة بن ثعلب بن بكر بن وائل القيسي، أمه من بني تميم من بني العنبر[2]، شاعر عباسي من شعراء القرن الثالث الهجري من أهل البصرة، لم تذكر أي من المصادر تاريخ مولده، والمرجّح أن ولادته كانت في حدود(180هـ)، وقد تفرّد الأصفهاني بنقل أخباره على لسان ابنه سوّار أبي الفياض الذي كان أحد الشعراء الرواة في المئة الثالثة للهجرة كما وصفه[3]. عُرف عنه صداقته للعديد من أدباء عصره أمثال الجاحظ، والجمّاز، والرياشي، وكان ملازماً لإبراهيم بن المدّبر أيام تقلّده البصرة[4]، وقد ذكر ابن المعتّز في طبقاته أنه كان مسناً تجاوز الاثنتين وتسعين سنة زمن المأمون، وأنه عاش بعد ذلك التاريخ دهراً امتد إلى أيام المتوكّل[5]، وكان قد مدح المهدي، ورثى الجاحظ الذي توفي سنة (255هـ)، وبالنظر إلى هذه الأخبار ندرك أنه عاش أكثر من مئة عام؛ فكانت وفاته في حدود سنة (280 هـ)[6].

عُرف عنه قُبح الخلقة، وسماحة الخُلق؛ إذ كان "جواداً لا يُسأل ما يقدر عليه إلا سَمَح به"[7]، كما كان "حليماً مألوفاً، كريم العشرة"[8]، اتّصف بما كان يتّصف به كرماء البوادي، وأصحاب الخصال الحميدة المعروفة عند العرب منذ القدم، وكان دائم الدعوة إلى التحلّي بهذه السجايا النبيلة في شعره، كما كان "جيد الشعر، مليح المعاني، صاحب نظر"[9]، وقد جمع في شعره مزايا الشعر القديم وخصائصه المعنوية والفنية من غير أن نعدم تأثّره بالمحدث والبيئة العباسية الجديدة في بعضه، إلا أن ثقافة البادية أخلاقاً وطبعاً كان لها تأثير جمٌّ في شعره؛ فقد كان بدوياً تقليدياً في الطبع واللفظ؛ فهو "جيد

([1]) صابر، محيي الدين و لويس مليكه: البدو والبداوة (مفاهيم ومناهج)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص18

([2]) ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، تح: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، ط3، 2008 ، 33/23، وينظر: القيسي، أبو شُراعة: شعره ص7–9

([3]) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني 23/ 33

([4]) القيسي، أبو شُراعة: شعره ص9–10

([5]) ابن المعتز: طبقات الشعراء المحدثين ، تح: عبد الستار فراج، دار المعارف، مصر، ط2، 1968، ص374

([6]) ينظر: عبد الرحمن، عفيف: معجم الشعراء العباسيين، دار صادر، بيروت، ط1: 2000، ص230

([7]) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني 23/ 33

([8]) الحصري القيرواني: جمع الجواهر، تح: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1953، ص 116

([9]) ابن المعتز: طبقات الشعراء المحدثين ص374

الشعر جزله، ليس برقيق الطبع، ولا سهل اللفظ، وهو كالبدوي الشعر في مذهبه"[1]، وقد مثّل نمطاً مهماً من أنماط الشعر العباسي الذي لم يفقد صلته بالماضي، بل ظل مرتبطاً به ارتباطاً وثيقاً، فكان يقول من "الشعر ما يجانب به مذاهب المحدثين، ويقترف طريق الماضين وأهل البادية، فشعره عربيٌ محض"[2]. فماهي أبرز العناصر المرتبطة بثقافة البادية التي ظهرت في شعره وجعلته يمتاز بتلك الصفات؟

أولاً: ثقافة البادية الاجتماعية:

تمكنت البداوة من طباع بعض الشعراء العرب في العصر العباسي، وإن كانوا في معظمهم قد انقطعت أسباب حياتهم مع الصحراء والحياة القاسية الخشنة التي تميّزها، لكنهم ظلوا محافظين على أخلاقها، بل دعوا إلى ضرورة التحلّي بها في شعرهم؛ إذ كان لأهل البداوة أخلاقيات وعادات إيجابية وسلبية[3] أثّرت في المجتمع العربي بشكل جلي منذ الجاهلية؛ والعادة تعرّف بأنها: مجموع سلوكيات مجتمع ما حسنة كانت أو سيئة، وقد أكّد أبو حيان التوحيدي على وجود سيئ العادات حين قال: " والعادة طبيعة، لكنها بحسن الاختيار أو بسوء الاختيار"[4]. وانتقال هذه العادات من جيل إلى جيل يحافظ على استمرارها، ويؤدي إلى ثباتها وبقائها. وسنركز عند أبي شراعة على العادات الإيجابية إذ لم نلمح ما يفيد بغيرها في شعر، فمن أخلاق البادية الإيجابية التي استمرت على ماهي عليه منذ ما قبل الإسلام حتى العصور اللاحقة: الأنفة، والعزّة، والصبر، والكرم، والعفّة، والوفاء، وإغاثة الملهوف، وإجارة المستجير، والإيثار، والجرأة في قول الحقّ، والعفو عند المقدرة، وحفظ الأنساب والمفاخرة بها، ... ولذلك اعتنى العرب بتربية أنفسهم وأبنائهم عليها، وعلى غرس هذه القيم السلوكية والاجتماعية في نفوسهم، وقد دعا شاعرنا إليها في شعره، ولم يتخلَّ عنها في وصف أحواله، ورسم لها صورة واضحة تبين ارتباطه بها، وتأثر ثقافته بتفاصيلها؛ فكان من أبرزها:

1- الكرم:

قيمة إيجابية من أهم القيم الأخلاقية التي عُرِفت عن ثقافة البادية، وامتّد الاهتمام بها في الشعر العربي من الجاهلية حتى العصور اللاحقة؛ إذ لم يكن لديهم قيمة تفوق قيمة الكرم حضوراً حين يقدمون ما يقدرون عليه لأضيافهم رغم ثقل الصحراء، وشظف العيش، وقلة الموارد؛ فقد نشأ لديهم إحساس بحاجة ماسّة إلى العناية بالضيف فرضتها ظروف الحياة في بيئة الصحراء الشاقّة حتى تستمر الحياة، ويتواصل البقاء. والكرم قيمة إنسانية وخُلُق نبيل ومظهر من مظاهر التعاون بين الناس على ظروف الحياة، يبذل الكريم ما لديه سواء أكان غنياً أم فقيراً، بل بذْل الفقير لما لديه أجل وأعظم، وهو ما نجده لدى أبي شُراعة حين وقف سائل عليه يوماً؛ فرمى إليه بنعله، وانصرف حافياً؛ فتعثّر ودميت قدمه؛ فقال:

ألا لا أبالي في العُلا ما أصَابَني	وإنْ نَقِبَتْ نعـلايَ أو حَفِيَتْ رِجلي
فلم ترَ عيْني قطُّ أحسَنَ منظَـراً	من النَّكْبِ يَدمى في المواساةِ والبذلِ
ولستُ أبالي مَن تَأَوَّبَ[5] منزلي	إذا بقيت عندي السَّراويلُ أو نعلي[1]

([1]) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني 23/ 33

([2]) الحصري القيرواني: جمع الجواهر، ص 116

([3]) فالشخصية البدوية هي نتاج الظروف البيئية المحيطة، إذ إن القيم والسلوكيات والعادات التي يعيش عليها ولأجلها قد تبدو متناقضة، فمنها السلبي ومنها الإيجابي؛ فهو ينهب ويغير في سنين القحط، لكنه في غاية الكرم، يمتهن المرأة لكنه يسيل الدم لأجلها، ومتشبّع إلى أبعد حد بمفهومي العرض والشرف اللذين تشكّل المرأة البؤرة المحركة لهما. ينظر: جاسم، محمد جاسم: البداوة في شعر نزار قباني بين الرفض والمساواة، مجلة أبحاث كلية التربية الاساسية، مج:10، ع 3، 2013، ص248

([4]) التوحيدي، أبو حيان: الإمتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص12

([5]) تأوب: رجَعَ، زار. ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة: أوب.

يقرن أبو شُراعة قيماً أخلاقية عدة من مفرزات ثقافة البادية وعاداتها الإيجابية في أبياته؛ إذ يجعل المعاناة والشقاء في طلب العلا أحب إلى قلبه من الراحة (لا أبالي– ما أصابني–وإن نقبت– أو حفيت)، وهي أفعال حركت دلالات الألم والمعاناة في سبيل تحقيق قناعاته، كما أن جمالية صورة الوصول إلى الغاية من هذا الخلق النبيل (...أحسن منظراً) لا تتحقق إلا بصورة معاكسة مجاورة هي جمالية قبح الألم المدمي؛ وهو ألم مادي قادر على تحمله في سبيل مواساة من حوله والشعور بألمهم ومعاناتهم وتقديم العون لهم، فالقبح والجمال متجاوران في الطبيعة والفن، وكل منهما يظهر الآخر، وهذه الآلية تجعل المتلقي يتفاعل مع الصورة، إذ يرى ياكبسون أن للوظيفة الجمالية "قدرتها على اجتذاب الانتباه نحو الرسالة أو العمل الفني بالإحالة إليه، فالرسالة الفنية تكون شعرية بالقدر الذي يتمكّن تكوينها الخاص من خلال ما عنده من اجتذاب الانتباه الخاص بالمتلقي إلى أصواتها أو كلماتها أو تنظيماتها وليس شيء يقع خارجها" [2]، وقد اعتمد التصوير المباشر عبر كنايات لا تحتاج إلى إعمال فكر لفهمها (نقبت نعلاي– حفيت رجلي). كما أنه يقرن الكرم بقيمة الإيثار رغم فقر الحال، وشدة إيمانه بهذا الخلق أوصلته أن اتُهم بالجنون نتيجة شدة كرمه وسخائه على المحتاجين، إذ "بلغه أنّ أخاه يقول: إنّ أخي مجنون، قد أفقرنا ونفسه...؛ فقال:

أَأُنْبَزُ مجنــوناً إذا جُــدْتُ بالذي مَلَكــتُ، وإنْ دافعتُ عنه فعاقلُ

فدَاموا على الزُّور الذي قُرِفوا به ودُمْتُ على الإعطاءِ ما جاءَ سائلُ[3]

استعمال الاستفهام الإنكاري (أأنبز مجنوناً) يشد انتباه المتلقي إلى صدمة الشاعر ممن حاربوه لالتزامه الوثيق بالثقافة التي نشأ ودرج عليها؛ فنعتوه بالجنون، ونفوا عنه صفة العقلانية، وهو يضع صورتي (الجود والبخل) المقترنتين بصورتي (الجنون والعقل) كثنائيتين متلازمتين بين يدي المتلقي ليطلق حكمه بناء على ثقافة اشتهرت عند العربي منذ القدم، لكنه لا يترك الأحكام مفتوحة بل يصر على أنه المدافع الشرس عن هذه الثقافة حين يستمر بالعطاء، وليشهد الآخرون بما شاؤوا من كذب وتلفيق في حقه، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على تمكّن الخلفية الثقافية البدوية من نفسه، وظل مخلصاً لها ورسم صورة مؤثّرة لخصائصها في شعره، متمكناً من أدواته الفنية والجمالية مؤثراً ثقافة أجداده العرب الذين خرجوا من بطن الجزيرة العربية وانتشروا في كل البقاع، وظلوا محتفظين بهذه القيم الأخلاقية المميزة يدعون إليها، وتتصف بها نفوسهم.

2– الإشادة بالنسب والفخر بالأصول:

وهي من أبرز العناصر البدوية الاجتماعية التي اهتم بها الأدباء والنقاد العرب منذ الجاهلية[4]، وذلك في معرض مدح النفس بالانتماء إلى القبيلة مهما كان حالها[5]، أو مدح الآخر وتعظيم شأنه، والإشادة بنسبه وأصله، وانتمائه إلى قبيلة معروفة بالشرف ونبل الصفات؛ فكيف إذا كانت هذه القبيلة هي أصل الممدوح وأصل الشاعر أيضاً!. والنسب يعني القرابة الممتدة إلى الآباء[6]، كما يشير إلى القومية ورمز المجتمع السياسي في البادية؛ لأن الأنساب كانت توفر الحماية لأفراد

([1]) القيسي، أبو شراعة: الديوان ص63

(4) عبد الحميد، شاكر: التفضيل الجمالي، عالم المعرفة، الكويت، ع 276، 2001، ص 18

([3]) القيسي، أبو شراعة: الديوان ص49

([4]) ينظر: التميمي السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد: كتاب الأنساب ، نشره: د.س مرجليوث، مكتبة المثنى، بغداد، 1970، و ابن السائب الكلبي، هشام بن محمد: جمهرة النسب ، تح: محمود فردوس العظم، فهارس، مجمد أديب الجادر، دار اليقظة العربية، دمشق، 1985

([5]) يقول دريد بن الصمة:

ومأانا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

ينظر: ابن الصمة، دريد: الديوان، تح: عمر عبد الرسول، دار المعارف، مصر، 1985 ص 25

([6]) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: نسب

المجتمع البدوي، وعلى هذا الأساس يعد الاحتفاء بالأنساب ظاهرة إيجابية، ومفهوم ضروري في الحياة القبلية العربية؛ لأنه يربط الشمل، ويجمع الشتات ويحمي من المعتدين، وهذا يتنافى مع سلبيتها أحياناً حين تصبح مجالاً للتفاخر والزهو والغطرسة، وهو ما كرهته الثقافة الإسلامية ونهت عنه[1]، مع ذلك فقد امتدت ثقافة الاهتمام بالنسب والفخر بالأصول حتى العصر العباسي، يقول أبو شُراعة في مدح سعيد بن موسى بن مسلم بن قتيبة:

إليكَ ابنَ موسى[2]الجودِ أعمَلتُ ناقتي مُجَلّلةً يضـــفو عليها جلالُها

أحبُ لكـــــم قيس بن عيلان كُلِّها ويعجبني فرســـانها ورِجالُها

ومالـــــي لا أهوى بقاءَ قبيلةٍ أبـــوكَ لها بَدْرٌ، وأنتَ هِلالُها[3]

يخاطب سعيد بن موسى بن قيس الباهلي، وينعته بالجود لشدة كرمه لأنه يبذل ما ينبغي من الخير دون طلب العوض، ولذلك يتوجه إليه (أعملت ناقتي)، ولو كان غير ذلك ما يمّم المسير شطره، ثم يحتفي بمحتده ونسبه وانتمائه إلى قيس عيلان القبيلة المشهود لها بفخر النسب، وكرم الأبناء وشجاعتهم، وهو حين يمتدح هذه القبيلة فهو يمتدح نفسه ويفخر بنسبه فهو ينتمي للقبيلة نفسها، ويتدارك إشادته بالنسب وفخره بالأصول؛ فيضيف إلى مدحته صورة بدوية تقليدية فيجعل ممدوحه وأباه هلالاً وقمراً (أبوك لها بدر، وأنت هلالها) مستمداً عناصر التشبيه من الطبيعة البدوية وشعرائها الذين أكثروا من تشبيه ممدوحيهم بالقمر؛ فكانت بؤرة هذه الصورة من الثيمات التي استخدمت ومازالت في الشعر العربي، مع خصوصية التقديم بين شاعر وآخر، ومن حقبة إلى أخرى؛ إذ غصّت أبيات الغزل والمديح بهذه الصورة تشبيهاً واستعارة وتركيباً، وبقي القمر يشكّل حالة عمومية لدى شعراء البادية، عبّرت عن الجمال التّام، يقول عنترة:

وبَدَت فقُلْتُ البَدْرُ ليلةَ تِمّه قـــــد قلَّدَتْهُ نجُومُها الجوزاءُ[4]

لكن دلالته لدى الخنساء جاءت تعبيراً مجازياً عن السيادة والتميّز والرفعة التي رأت من خلالها أخاها صخراً– وهو ما نلاحظه لدى أبي شُراعة أيضاً– حين قالت:

كنَّا كأنجمِ ليلٍ وسطها قمَرُ يجلو الدُّجَى فهَوى من بيننا القمرُ[5]

لقد جاء توظيف أبي شراعة لمفردتي (القمر والهلال) في الصورة المدحية /النسب العظيم، عند حدود المتخيل الحسّي القريب، (أبوك بدر– أنت هلال)، فظل التشبيه البليغ ضمن الحدود الحسية بعيداً عن الخيال المجنح والتعقيد في الصورة، وبذلك لم يخرج عن تأثّره بالثقافة البدوية القديمة خاصة ما عرف عن الشعر الجاهلي ذا الصبغة البدوية أساساً، من خصائص وسمات جعلت منه نمطاً مهماً من أنماط الفنون التعبيرية، والأساليب الشعرية العربية ذات التناول الحسّي الواضح القريب من الأذهان، ومن ثمَ ابتعد عمّا شهده الشعر العباسي من حركات التجديد في الشعر في المباني والمعاني.

([1]) قال صلى الله عليه وسلم :(يأيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى أن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فيبلّغ الشاهد الغائب) رواه أحمد في مسنده.

([2]) هو سعيد بن موسى ين سعيد بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، بصري الأصل، وكان قد سكن خراسان، وولاه السلطان بعض أعمال مرو، قدم بغداد وحدّث فيها، وروى عنه ابن الأعرابي، وكان عالماً بالحديث والعربية، وقيل هو من جلساء المأمون. ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، 10/ 204–203

([3]) القيسي، أبو شراعة: الديوان ص53–54

([4]) عنترة: شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي، قدم له ووضع فهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992 ص 21

([5]) الخنساء: الديوان، شرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004، ص 63

ويؤكّد أبو شراعة نهجه هذا في مقطوعات أخرى، إذ كان صديقاً لإبراهيم بن المدبر[1] حين كان وزيراً، وتقلّد البصرة أيام الخليفة المعتمد على الله بن المتوكلّ، وقد جمعتهما أخبار عدة في كتب التراث[2] تدلّ على مدى القرب بينهما، وها هو يشيد بأصوله مادحاً مذكّراً بمحتده العظيم، ونبل انتمائه:

أليسَ أبو إسحـــــــاقَ فيه غنىً لنـــا فيجدي على قيسٍ، وأجدي على بكر[3]

وأبو شراعة لا يكتفي بالفخر بأصوله من ناحية الأب بل يزيده بالفخر بأصله من جهة الأم؛ فيقول:

أنـــــــا ابـــنُ العَنْبـــــــريَّة أزَّرَتْني إزَارَ المكْـــــــرُمـــــات إزارَ خـــــالي[4]

وهو يجمع فخره بنسبه وأصوله من جهتي أبيه وأمه؛ فيقول:

وحِزْتُ بهم، لا بلْ بِنَفْسِ ابنِ حرَّةٍ مآثـــرَ يُحصى دون إحْصـــائِها الرَّمْلُ[5]

يفخر أبو شُراعة بأمه الحرّة كما يفخر بقومه ومآثرهم التي لا يمكن حصرها، وفي هذا مبالغة شديدة تنم عن عمق فخره وإشادته

بنسبه وأصوله كما كان السلف من أهل البادية يفخرون[6]، ويعدّون ذلك من علامات الامتياز لدى الشخص وهي تؤهله للمكانة الرفيعة في عيون الآخرين.

3- السجايا النبيلة:

تحلّى الإنسان العربي في الثقافة البدوية منذ الجاهلية بمجموعة من السجايا والخصال التي تدل على مكارم الأخلاق لديه، وقد دعا الشعراء إليها في شعرهم تأكيداً على نبل صاحبها، وأهمية وجودها في الشخص حين تعامله مع محيطه، وكانت من أبرز العناصر الاجتماعية في ثقافة البادية التي ترسم صورة الرجل الكامل ويفخر بوجودها في شخصه. واستمر الشعراء يدعون إليها ويوظفونها في أشعارهم عند المديح أو الفخر، وكان أبو شُراعة من الشعراء العباسيين الذين لم يقطعوا حبل الوصل مع جذورهم البدوية في المعاني التي كانوا يلحون عليها والتي تمثل مكارم الأخلاق في عرفه ومنها:

([1]) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبّر(195–279هـ) ، أحد الكتّاب المترسلين الشعراء، من أهل بغداد، تولّى ولايات جليلة، وكان وزيراً أيام المعتمد على الله العباسي لما خرج من سامراء يريد مصر سنة (269هـ)، وتوفي في بغداد متقلّداً ديوان الضياع للمعتضد. ينظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار الملم للملايين، بيروت/ ط15، 2002، 1/ 60

([2]) وأبرزها كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الذي تفرّد بنقل أخبارهما معاً.

([3]) القيسي، أبو شراعة: الديوان ص29

([4]) نفسه ص 50

([5]) نفسه ص29

([6]) من أكثر ما قيل شهرة في هذا المجال معلقة عمرو بن كلثوم مفتخراً بقبيلته ونسبته إليها ومنها قوله:

لنا الدُنيا ومن أمْسَى عليها ونبطْشُ حينَ نبطِشُ قادرينا
ملأْنَا البَرَّ حتى ضاقَ عنَّا ونحـــنُ البَحْرُ نمْلأه سَفِينا
إذا بلغَ الفِطَامَ لنـــا صبيٌّ تخِرُ له الجبابرُ سَاجِـــدينا

ينظر: ابن كلثوم، عمرو: الديوان، تح: إميل يعقوب ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996 ص 90-91

أ- رعاية العهد والوفاء به:

وهو خلق محمود يجعل من صاحبه وفي الذمة مهما كانت النتائج، وقد درج عليه الشعر العربي منذ الجاهلية، وأكثر معاني الوفاء لديهم ظهرت في شعر الرثاء عندما يذكرون فيه محاسن المرثي وفاءً له[1]؛ فكيف إذا كان هذا المرء شخصاً محبباً، كما كان سعيد بن موسى الباهلي لأبي شُراعة؛ إذ يقول باقياً على العهد معه وفيّاً لما كان بينهما ما كلّفه ذلك:

إليكَ ابنَ موسى الجُودِ أعْمَلتُ ناقَتي مُجَلَّلةً يضْفـــو عليْهَا جِـــلالُـــها

كَتُومُ الـوَجَى[2] لا تشتكي ألَمَ السُّرى ســـَواءٌ عَليـْها موتُها واعْتـــِلالُـــها

إذا شَرِبتْ أبْصـــَربتَ ما جوفُ بَطنِها وإنْ ظَمِئَت لـــمْ يبدُ منـها هُزالُـــها

وإنْ حَملَت حِمْلاً تكلَّفْـــــــتُ حِمْلَـــها وإنْ حُطَّ عنها لم أقلْ كيفَ حالُها

بعثْنَا بها تسمـــو العيـــــــــونُ وراءَها إليْكَ وما يُخشى عليْها كَـــــلالُـــها[3]

فهو يقرّ بتحمله كل المشاق في سبيل الوصل مع من يجلّ ويكرم مراعياً العهد معه، مقراً بالوفاء لشخصه كيفما كانت المصاعب؛ فناقته مهما أصابها من شدة وهزال وضعف وإعياء؛ قليل أمام الوصول إلى صاحبه والبقاء على العهد بينهما. وقد استخدم صورة الناقة المتعبة نتيجة مشاق الطريق بمفردات تنتمي دلالياً إلى حقل المشقة والإجهاد (كتوم الوجي– موتها–اعتلالها–هزالها–كلالها) دلالة على مصاعب الطريق وطوله ووعورته، ومن ثمّ تنعكس هذه الصورة عليه؛ فتدل على ما ناله هو من مشقة في سبيل الوفاء بالعهد مع صاحبه، لكنه لم يرد أن يحمّل صاحبه جميل فعله وهذا من شيم الوفي الصدوق. ومن الناحية الفنية الشكلية نكون إزاء شاعر سار على درب القدماء في وصف حيوان الرحلة (الناقة)، وهو حيوان البادية بامتياز، والمعاناة والمشاق التي أصابتها وأصابته في سبيل اللقاء، وهو من الصور المأثورة التي كان الشعراء العرب القدامي أبناء الصحراء والبادية يضمنونها في مطالع قصائدهم، مما يؤكد على ارتباط شاعرنا بالثقافة البدوية وخصوصياتها الفنية الشكلية.

ب- حب الأقارب رغم ظلمهم:

الأقارب في ثقافة البادية الاجتماعية هم مصدر فخر لكل فرد من أفراد العائلة أو القبيلة كما أسلفنا، وهم مصدر قوة عندما يحتاج أي منهم للمساعدة والعون[4]، حتى إنْ جاروا وإنْ ظلَموا، وقد ارتبط ظلم الأقارب لذويهم مع محبتهم في ثقافة البادية، وقد أثّر هذا في نفس الشاعر، وجعله يشعر بالقهر والظلم الاجتماعي، وهو الذي كان من الميسورين المقتدرين إلى أن جار الزمان عليه وعرّض به أمام ذوي القربى رغم محبته لهم، إذ يروي ابن أبي شُراعة الفياض سوّار؛ فيقول: "نظر إليَّ أبي يوماً، وقد سألتُ عمّي حاجة؛ فردّني؛ فبكى"، ثم قال:

([1]) ينظر: مصطفى، مونسي و عبيدالله محمد: القيم الأخلاقية وجماليتها في الشعر الجاهلي /معلقة زهير بن أبي سلمى أنموذجاً/ رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2014 ص 19– 35

(3) الوجى: رقت قدمه أو حافره أو خفه من كثرة المشي. ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة: وجي

([3]) القيسي، أبو شراعة: الديوان ص 53–54

([4]) ينظر: مصطفى، مونسي و عبيدالله محمد: القيم الأخلاقية وجماليتها في الشعر الجاهلي /معلقة زهير بن أبي سلمى أنموذجاً/ ص 19–35

حبّي لإغناءِ ســـــــــوَّارٍ يُجَشّمُني خوضَ الدُّجى واعتسافِ[1] المَهْمَهِ[2]البيدِ
كي لا تهُونَ على الأعْمَامِ حاجَتُهُ ولا يُـعلَّـــلَ عنهـــــا بالمـــواعِيْـــدِ
ولا يـــــولِّيهمُ إنْ جـــــاءَ يسْألُها أكْتـــافَ مَعْرَضَةٍ في العِيـــسِ مَـــرْدُودِ
إذا بكى قـــــال ذو الحِفـــاظِ له لقدْ بُلِيـــــتَ بخُلُقِ غيـــرَ محمـــــودِ[3]

إنه عندما يتحدّث عن ظلم الأقارب ورفضهم مدَّ يد العون والمساعدة؛ يذكّر بحرقة المتمسّك بصلة الرحم وما يجب أن تكون عليه، ويعتب عتاباً مرّاً عليهم وهم أقرب الناس، ويسوؤه عدم قدرته على منح ابنه ما يطلب والتعريض به أمام العمومة على هذا النحو، ومثل هذه المعاني وردت لدى الشعراء الجاهليين، وشكّلت نمطاً مهماً من الأنماط الشعرية في ثقافة البادية الأدبية؛ لما لها من أثر نفسي عميق عند الشعراء الذين أوردوها بوصفها تتنافى مع حب القبيلة والعائلة، والانتماء لهما، وتتناقض مع ما دعت إليه تلك الثقافة من الارتباط بالقبيلة والدفاع عنها والفخر بالنسب إليها، كقول طرفة بن العبد المشهور في معلقته:

وظُلْمُ ذوي القُربَى أشدُّ مضَاضةً على المرْءِ من وقْعِ الحُسامِ المُهنَّد[4]

إضافة إلى الأثر النفسي المؤلم الذي تتركه عند المظلوم، وإذا ما عبر عنه بالبكاء (إذا بكى) وهو أداة تفريغ شحنة الغضب أو الحزن، عيب عليه ذلك، لأنه يتنافى مع صفات الرجولة كما يراها العربي في ثقافته عموماً.

ج– إباء الضيم والأنفة وعزّة النفس:

الأنفة هي العزة، فقد جاء في لسان العرب: "أنف من الشيء يأنف أنفاً إذا كرهه وشرفت عنه نفسه"[5]، ومن مرادفات الأنفة: العزّة وإباء الضيم ويقابل الأنفة الدناءة والمهانة والذلّة والصغار، ولذلك قد تكتسي الأنفة ثياب رفض المذلّة، والترفّع عن المهانة، وهي صفة ملازمة لعزة النفس تخلّق بها العربي مثلما تخلّق بغيرها من الصفات الحميدة، وصارت موروثاً أخلاقياً عربياً ينتمي في أصله إلى ثقافة البادية ؛ فالعربي بما لديه من أنفة وإباء وعزة نفس يأبى على نفسه الضيم، ويرفض الظلم ويكرهه على نفسه وغيره، وهاهو أبو شُراعة يقرن الحاجة إلى الأهل والأقارب بالحياء والأنفة وعزّة النفس، ولا يقبل الاستجداء منهم إنْ لم يُقبلوا عليه؛ فحين سقطت داره بالبصرة، وعوتب على بنائها، وقيل له: استعن بإخوتك إن عجزت عنها، قال:

تقولُ ابنةُ البكـــــري حيـــنَ لقيتُها هزيلاً، وبعضُ الـــرّائدِينَ سمِينُ
لكَ الخيرُ لاتـــــرحلْ لأهْلِكَ رِحلَةً فإنَّكَ في القوْمِ الكِـــــرامِ مكيْنُ
ذريني أمتْ من قبلِ حَلّـي محَلَّةً لها في وجوهِ السائلينَ غُضُـونُ[6]
فأفدي بمالي مـــاءَ وجهي، وإنّني بما فيه من ماءِ الحيَاءِ ضنِينُ
فقالت: لحَاكَ الله تستحسنُ النَّوى عن الدّارِ، إنَّ النَّائبـــاتِ فنونُ
وحـــــوْلَكَ إخوانٌ كِرامٌ لهم غِنًى فقلتُ: لإخواني الكِرام عُيُـــونُ[7]

(1) اعتساف: اعتسف الأمر: سار فيه يخبط بغير قصد ولا هداية ولا تفكير ولا تدبير. ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة: عَسَفَ
(2) المهمه: البلد المقفر البعيد . انظر ابن منظور: لسان العرب مادة: مَهَهَ
(3) القيسي، أبو شراعة: الديوان ص25
(4) ابن العبد، طرفة: الديوان تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2002، ص27
(5) ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة: أَنَفَ
(6) غضون: جمع مفرده غَضْن، والغضن هو الكسر في الجلد والثوب والدرع وغيرها. ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة: غَضَنَ
(7) القيسي، أبو شراعة: الديوان ص68–69

إنه يفضل الموت على مرّ السؤال والاستجداء، ويلح على خلقي الحياء وعزة النفس اللذين يمنعانه من التذلّل حتى لأقرب الناس إليه، وقد قدّم معانيه بأسلوب حواري رشيق (تقول– ذريني– فقالت– فقلت)، كثيف الدلالات؛ إذ ضمنه صوراً عن المكان الذي كان يعيش فيه وماحل به، (تستحسن النوى عن الدار– إن النائبات فنون)، وعن حالته الجسدية (هزيلاً)، فضلاً عن مكانته وعزة نفسه وكرامته (في القوم الكرام مكين– ذريني أمت– ماء وجهي– ماء الحياء)، محاولاً إشراك المتلقي شعورياً بالحزن لما أصابه، متعاطفاً مع ماحل به كما فعلت (ابنة البكري)، راسماً صورة مأساوية لأوضاعه، متكئاً على ثقافة متجذّرة في نفسه؛ إذ لم تتمكن التغيرات الاجتماعية المحيطة به من كسر عزّته وكبريائه التي كانت تتمتّع بها نفسه (فأفدي بمالي ماء وجهي).

كما كانت روحه توّاقة إلى العلا، ولا يرضى بالمهانة والذل، وإن أصابته الحوادث والفقر، فقد كان بينه وبين أولاد عمّه وحشة بعد أن افتقر حاله، ورثّت ثيابه، وأنكر عليه الأهل والأصحاب ما وصل إليه، ثم صالحوه ودعوه إلى طعام؛ فأبى، وقال:

بني سوّار إنْ رَثَّتْ ثيـــــابي	**وكَلَّ عن العَشيرةِ فضْلُ مالي**
فمطَّرَحٌ ومتـــــــــروكٌ كلامي	**ويجفوني الأقـــارِبُ والمـوالي**
ألـــَـم أكُ من سُراةِ بني نُعَيْم	**أحلُّ البيتَ ذا العَمَـــدِ الطِّوالِ**
وحـــــولي كلُّ أصْيَدَ تغلبيّ	**أبيُّ الضَّيْم، مشتركُ النـَّـــــوالِ**
إذا حَضَر الغداءُ فغيرُ مغْنٍ	**ويُغْني حيْـنَ تشتجرُ[1] العوالي**
وأبقوني فلســــــتُ بمسْتَكينٍ	**لصاحبِ ثروةٍ أخــرى الليالي[2]**

إنه يرثي لحاله ويذكّر أهله بصفاته وأخلاقه ومن كانوا أصحاباً له ويشيد بصفاتهم النبيلة، مع عزّة وكبرياء وكرامة وإباء ورفض للذل مهما كانت الحاجة، وهي ثقافة ليست بغريبة على العربي الأصيل، بل هي متأصّلة الجذور واضحة المعالم في صفاته وثقافته الاجتماعية والشعرية.

ح– الرجولة:

يقتطع أبو شراعة من ثقافة البادية عن سجية، صورة الرجولة في نظره، سلوكياً وأخلاقياً؛ فليس كل من يطلق عليه رجل هو رجل حقيقي، إذا لم تميزه صفات معينة تدل على قدرته على الجمع بين متطلبات النفس وما تنطوي عليها، وبين أساليب التعامل مع الآخرين مهما تغير الرابط الذي يربط هذه الشخصية بمن حولها، يقول أبو شراعة:

أئِنْ كنتُ في الفتْيان ألَوْتُ[3] سَيِّداً	**كَثيرَ شحُوبِ اللّونِ مُختَلَفَ العَصْبِ**
فمالَكَ منْ مَـــوْلاكَ إلَّا حِفَـــاظُهُ	**ومـــا المَرْءُ إلّا باللّســـانِ وبالقـَلْبِ**
هُمَا الأصْغَرانِ الذّائِدَانِ عنِ الفَتى	**مَكَـــارِهُهُ والصّاحبانِ على الخَطْبِ**
فإلَّا أُطِـــــــــقْ سَعْيَ الكِرَامِ فإنَّني	**أَفُكُّ عنِ العانِي وأَصبِرُ في الحَرْبِ[4]**

وقد قال هذه الأبيات عندما نعته أخوه بالجنون؛ فرد عليه رد الرجل الحقيقي الذي يتمتّع بأهم ما حفظته ثقافة البادية عند تمييز الرجل من غيره؛ فهو يضع صورة الرجل الفقير والهزيل الذي أصبح عليه (ألوت سيداً– كثير شحوب اللون) أمام

([1]) تشتجر: اشتجر الشيء اشتبك وتداخل بعضه في بعض، واشتجر القوم تخالفوا وتنازعوا. ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة: شَجَرَ

([2]) القيسي، أبو شراعة: الديوان ص57–58

([3]) ألا، يألو...: بمعنى قصّر أو اجتهد.. فالعرب تقول: أتاني فلان في حاجة فما أَلَوْتُ ردّه أي ما استطعت. ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة: ألا

([4]) القيسي، أبو شراعة: الديوان ص 20

صورة الرجل الحقيقي الذي هو عليه حقيقة؛ فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه (هما الأصغران الذائدان عن الفتى)، وأفعاله هي التي تحكي عنه عند نجدة الملهوف، والصبر على الشدائد (أفك عن العاني– أصبر في الحرب)، واستخدام هذه الدلالات المعنوية يعكس أمرين:

الأول: أن الشاعر يذود عن نفسه أمام من نعته بصفة الجنون القبيحة فينسي المتلقي أنه رجل هزيل فقير ضعيف فعلت الأيام بها فعله، بل يرى صورة شامخة لرجل قوي مقدام كريم يمكن اللجوء إليه عند الشدائد. **والثاني:** أن ارتباطه بثقافة البادية قوى نفسه وعزيمته فلم يرضخ لحوادث الأيام، وغدر الأهل.

إن ثقافة البادية المتجذرة في أخلاق شاعرنا جعلته يتعامل مع محيطه بسماحة طبعه وفطرته السوية، وكرم أخلاقه التي لم تتأثر بالتغيرات البيئية والاجتماعية والسياسية، فضلاً عن التجديد في الأساليب الشعرية التي طرأت على المجتمع العباسي، ولذلك ظل على كرمه وسخائه بما يملك، وإن تعرّض للظلم والقهر؛ فقد اعتدّ بنفسه، وتأثّر لكرامته وعزة نفسه التوّاقة إلى العلا والإباء، كما جاء أسلوبه الشعري متناغماً مع تلك الثقافة دلالياً وفنياً، فكل المعاني والدلالات التي قدّمها ارتبطت بالعناصر الثقافية البدوية لديه، وقد قدمها في تركيبات صورية حسية واضحة بعيدة عن الخيال والتعقيد.

ثانياً: صورة المرأة:

لم يشاكل أبو شراعة الواقع الذي يصوره مشاكلة حقيقية في كل ما قدمه؛ لكنه حاول أن يوضح رؤيته الفكرية الخاصة عبر حوادث واقعية مرت به، وهو حين يعرض لصوره؛ فهو يحرص أن يخلقها خلقاً جديداً يعكس هذه الرؤية، ومن هذه الصور صورة المرأة، إذ يبدو أنها سكنت وجدانه، كما كانت عند الشاعر العربي في الثقافة البدوية القديمة الممتدة إلى العصر العباسي، فذهب يبتدئ بها شعره، ويبوح باسمها ومشاعره نحوها، وجميع من ذكرهن كنّ معشوقات، ولم نتبين من منهن كانت زوجته، فقد استخدم الكنية مع اثنتين(ابنة البكري– أم مالك). وأخباره التي وصلتنا لم تأت على ذكر صلته بهؤلاء النساء بينما معانيه الشعرية عبر مجموعه القليل دلّ على صلة العشق مع معظمهن؛ إذ نلمح أسماء عديدة لهن في شعره، فماهي الدلالات المقصودة، والقيم المرتبطة بها، ولماذا حرص على تعدّد أسماء النساء في مقطوعاته الشعرية؟. ويبدو أنه كان يوظّف هذه الأسماء لغايات ليست بالضرورة انعكاسا لحقيقة واقعية يعيشها زواجاً أو عشقاً، لكن لغايات معنوية دلالية كان يحملها كل اسم منها، إضافة إلى استخدام الاسم أداة لتوضيح الصورة المقصودة ومعانيها، فكل اسم استعمله له دلالات وإيحاءات خاصة، وقد ذكر النقاد المتقدمون أنه من البيان أن يكون لكل كلمة إيحاءاتها وإيماءاتها ورمزيتها؛ فقد لفت المبرد أن للإيماء أهمية في كلام العرب، فقال:" وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل: لمحة دالة"[1].

ولذلك يمكن القول إن الأسماء التي ذكرها أبو شراعة في شعره "تصلح حقاً – في معظمها– لتكون صفات أكثر من أن تكون أسماء أعلام"[2]، مما يضيف إلى المعنى الذي أراد قيماً دلالية مهمة. وهو بهذا لا يخرج عن الموروث الثقافي الشعري عند شعراء البادية، فقد ارتبط ذكر اسم المرأة لديهم بالمقدمات الغزلية[3]، سواء اكانت هذه الحبيبة موجودة أم غير ذلك، كما تتعدد دلالات اسم المرأة لدى الشاعر العربي في الثقافة البدوية[4]، وقد فُسر كثرة ورود أسماء النساء في أشعار بعضهم بأن هذه الأسماء تخف على ألسنتهم وتحلو في أفواههم وأن الإتيان بها مجرد إقامة للوزن

(1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997 ، 1/ 27

(2) داوود، لميس: شعر ابن الدمينة، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2008، ص11

(3) ينظر: الحيص، فهد: أسماء النساء في قصائد الشعراء، مكتبة آفاق، 2011.

(4) ينظر: الحراحشة، أحمد: الاتّساع، أسماء النساء في الشعر الجاهلي (هريرة أنموذجا)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة آل البيت، الأردن، مج 39، ع 3، 2012 ص 769– 770

وتحلية للنسيب[1]، لكن ذلك يجانب الدقة لأنهم كانوا يأتون بها أحياناً تعبيراً عن القبيلة أو الحبيبة أو الحياة واستمرارها، أو معادلاً موضوعياً لفقدان الأمل ومحاولة للإحساس بالحياة، أو رمزاً لموقف أو أمر يُقصد التعبير عنه، وهذه الطريقة في ابتداء القصائد تمثل ارتداد الشاعر إلى نفسه، وخلوه إليها، وهي تعدّ بمنزلة الجزء الذاتي الخاص الذي يعبّر من خلاله عن موقفه من الحياة والكون حوله.

لقد اهتم أبو شُراعة بأسماء النساء في بعض مقطوعاته الشعرية التي وصلت إلينا، وما يلفت النظر فيها هو تأثّره بالثقافة البدوية الشعرية التي جعلت اسم المحبوبة غير ثابت، ولم يكن تقليده لها تقليداً جامداً، بل سعى إلى جعله أداة أسلوبية تجلّي المعنى، وتغني الدلالة، يقول:

طافَ الخيالُ ولاتَ حينَ تطرُّبِ أنْ زارَ طَيْـفٌ مُوهِناً من زَيْنَبِ

طَرَقَتْ فنَفَّرَتِ الكَـرى عن نائمٍ كانت وِســـادَتُهُ ذراعَ الأرحَبي[2]

فابتداء الشاعر بصورة (طاف الخيال) أظهر ارتداده الجلي إلى الثقافة البدوية القديمة؛ إذ استخدم الشعراء هذا التعبير منذ الجاهلية حتى العصر العباسي، ومؤداه أن العاشق يزوره طيف المحبوبة البعيدة، وما أحلاها من زيارة! ويبدو أن هذا التركيب حظي بجمالية خاصة لدى الشعراء، ولذلك تردّد على ألسنتهم، لما له من أثر في نفس المرسل والمتلقي على حّدٍ سواء؛ فطيف الخيال من أجذب وألطف الموضوعات التي أولع بها شعراء العربية قديماً، بوصف طيف المحبوبة من أجمل اللوحات التي تخطر على بالهم حين يقفون على ديار الحبيب، ويبكون على آثارها، وقد حوّلها الشعراء العباسيون إلى مقدمات غزلية؛ فيذكرون الاسم تحبباً، ويصفون أشواقهم إليه ثم يسيرون في غرضهم أيا كان؛ مما أدخل هذه الثيمة في ثيمات الغزل منذ الجاهلية مروراً بأشعار المتقدمين والمتأخرين من الشعراء العباسيين؛ فالشاعر يرى حبيبته ماثلة أمام عينيه حين يزوره طيف خيالها مستحضراً إياه من مكان بعيد؛ فتتحقق له السعادة، وتطرب نفسه المشتاقة، بل يدخل في عالم من (الرؤيا والخيال/ والرؤيا واليقين)؛ فيبعد النوم عن جفنه (طرقت فنفرت الكرى عن نائم). واختيار أبي شراعة لاسم زينب، مما درج على استخدامه الشعراء في الثقافة البدوية القديمة منذ الجاهلية[3]؛ جاء من أن أسماء النساء المعشوقات في الشعر كان فيها غالباً ما يدل على الليونة والنعومة والرقة والطيب والرفق والجمال والدلال والعطر وغيرها...، وزينب واحد من هذه الأسماء؛ إذ يدل على شجر حسن المنظر طيب الرائحة[4]، وقد فعلت بقلب الشاعر ما فعلته حتى تخيّل طيفها يزوره؛ فيؤثّر فيه أيّما تأثير.

أما عندما يقول:

---

(5) القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981، 2/ 121–122

([2]) القيسي، أبو شراعة : الديوان ص 21 ، والأرحبي: هو الجمل المنسوب إلى قبيلة أرحب في اليمن، وهي إحدى قبائل همدان.

([3]) يقول الأعشى:

تصابيتَ أمْ بانت بعقلِكَ زينبُ وقد جعل الودُّ الذي كـــان يذهبُ

وشاقتْك أظــعانٌ لزينب غُدوة تحمَّلن حتى كادت الشمسُ تغربُ

الأعشى الكبير: الديوان، تح: محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1950، ص 201

([4]) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: زنب

ما بالُ سُعْدى أَخْلفَت مِيْعــادي وتيسَّـــــرَت لقطِيعَتي وبِعادي
أسُعَادُ هَل ذَنْبٌ سِوى أنّي امْرُؤٌ شَغَلــتْ مَحبتُكم عليَّ فُؤَادِي
ولقَد دنَوْتِ وكنتِ غيـــرَ بَخِيلةٍ حتى إذا أطْمَعتِ في المِيعَادِ
برَقتْ بـــــوارقُ من نوالِكِ خُلَّبٌ كذِبُ العُدَاةِ صَواعِقُ الإيْعَـادِ[1]

فاسم سعدى يمثِّل السعادة واليُمن وحال الرضا من قرب المحبوب وطيب النفس بجواره، إلا أن هذه الحبيبة أخلفت ميعاده، ودبّت القطيعة بينهما؛ إذ نراه في البيت الثاني مباشرة يخاطبها على أنها سعاد، وكأنه يريد الزيادة في مدلولات اسم المحبوبة ومعانيه المبهجة الرقيقة المملوءة باليمن والحظ والسعد[2]، رغم ابتعادها عنه ومحبته وولعه بها، والبيت الثالث يكشف عن مصدر هذه التناقضات المعنوية التي أوردها، فهي لم تكن بخيلة في قربها منه، بيد أنها كانت تتلاعب بمشاعره؛ فعاتبها على ما بدر منها تجاه قلبه، وما يجعلنا ندرك أن المحبوبة عند أبي شُرَاعة هي تقليد فني شكلي تفتتح به القصائد الشعرية، وهذا من لوازم النص الشعري التقليدي القديم، واتّبع فيه الثقافة البدوية المترسّخة في ذهنه، أننا في كل مرة نكون إزاء اسم جديد من أسماء المحبوبات التي درج على توظيفها الشعراء العرب سابقاً، بل وصل به الأمر أن يوظّف اسمين لمعشوقته ليعزز دلالات هذا الاسم وإيحاءاته (سعدى– سعاد). وفضلاً عن زينب وسعدى وسعاد، يوجّه الحديث إلى أميمَ هذه المرة؛ فيقول:

فمَن كانَ لم يسمعْ عجيباً، فإنَّني عجيبُ الحديثِ، ياأميمَ، وصادقُه
وقد كان لي أُنسانِ، ياأمَّ مـــالكٍ وكـلٌّ إذا فتَّشْتِني أنا عاشِقُـــــه
عزيزةُ والكـــأْسُ التي مـــن يُحِلُّها تُخادِعُهُ عن عقْلِهِ فتُصـــــادِقُه[3]

فاسم أميمَ، وهو ترخيم من أميمة، هو اسم علم مؤنث من الأسماء النسائية التي عُرف عن الشعراء العرب في الجزيرة العربية استخدامه في شعرهم[4]، ويحمل الكثير من الدلالات والمعاني، فاسم أميم تصغير أمّ، والأم هي الوالدة وأصل الشيء، وقد ذكر ابن منظور إن تصغير أمّ على أميمة خطأ، والصواب أميهة؛ لأن الأم أصلها أمَّهة، وجمعها أمهات؛ فتصغّر على أُمَيْهة، وقالوا: إنما صغروا الأم على أميمة بناء على لفظها[5]، ويبدو أن أبا شُراعة رخّم اسم محبوبته تحبباً وقد جعلها إحدى ثنائيتيه المتلازمتين في القرب إلى قلبه، وعشقه اللامحدود لهما، (الخمرة والمرأة)، وكأن قدره أن يكون جامعاً للذة بين هاتين الثنائيتين المتلازمتين أصلا في أحايين كثيرة في الثقافة الشعرية العربية البدوية؛ وكلتاهما عنده توءم النفس والروح ويأنس بهما، لكن الخمرة تتلاعب بعقله أكثر إزاء امرأته، وهذا يبين شدة التأثير النفسي للخمرة فيه أمام تأثير المرأة المعشوقة، وهو تأثير ثقافي امتد أثره في الشعر منذ الجاهلية.

وتجب الإشارة إلى أن أبا شُراعة استخدم الكنية في أبيات قليلة في مخاطبة المرأة، فهو يخاطب أميم ذاتها في البيت الثاني بـ (أم مالك)، كما حاور(ابنة البكري)[6] وفي مثال آخر،لوم يتضّح في أخباره نوع الصلة التي جمعته بهما، لكن

([1]) القيسي، أبو شراعة : الديوان ص 26

(5) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: سعد

([3]) القيسي، أبو شراعة : الديوان ص45

([4]) قال أبو ذؤيب:

قالت أميمة ما لجسمك شاحبا مثلي ابتذلت ومثل ما لك ينفع

ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة: أمم، وينظر: داوود، لميس: شعر ابن الدمينة، دراسة تحليلية ص6–11

(3) نفسه، مادة: أمم

(4) القيسي، أبو شراعة: الديوان ص68–69

دلالات العشق للأولى واضحة في الشاهد بينما الأخرى فلم يتبين من خلال حوارهما سوى أنها كانت تأسى لحاله وتعرف قدره لكنها تدفعه إلى طلب المعونة من إخوانه ، وهو يرفض لعزة نفسه، وشموخ كرامته البدويتين.

❖ **نتائج البحث:**

بناء على ما دُرِس توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1- الثقافة بوجه عام تركّز على الجوانب النظرية والفكرية والمعرفية والفنية والجمالية لمجتمع ما؛ فهي تمثّل مجموعة المعارف المكتسبة مع مرور الوقت، وتصبح خصيصة من خصائص الفرد والمجتمع. والثقافة العربية هي كل ما يعبر عن طبيعة الحياة الاجتماعية والفكرية عند العرب، وهي تسهم في توضيح مكونات المجتمع العربي وقيمه الأصيلة الخاصة به، وللغة العربية دور أساس في نقل هذه المنظومة الفكرية بصورتها الحقيقية إلى الآخرين.

2- أسهم الشاعر العربي القديم بشكلٍ غير واعٍ في الحفاظ على ثقافة المجتمع والبيئة المحيطة به من خلال معارفه الخاصة، ومعتقداته، وأخلاقه التي تمثلها، ودعا إليها، وقد ظلت ثقافة القديم مسيطرة على عقول بعض شعراء المجتمعات العربية اللاحقة ووجدانهم.

3- استمرت أخلاق البادية الإيجابية التي على ماهي عليه منذ ما قبل الإسلام حتى العصور اللاحقة: الأنفة، والعزّة، والصبر، والكرم، والعفّة، والوفاء، وإغاثة الملهوف، وإجارة المستجير، والإيثار، والجرأة في قول الحقّ، والعفو عند المقدرة، وحفظ الأنساب والمفاخرة بها،.. ولذلك اعتنى العرب بتربية أنفسهم وأبنائهم عليها، وعلى غرس هذه القيم السلوكية والاجتماعية في نفوسهم، وقد دعا شاعرنا إليها في شعره، ولم يتخلَّ عنها في وصف أحواله، ورسم لها صورة واضحة تبين ارتباطه بها، وتأثر ثقافته بتفاصيلها.

4- يرتبط السخاء لديه بنهج مؤدّاه أنّ الإنسان يجب أن يبذل ما لديه للآخرين مادام قادراً على ذلك. وهو بهذا يعبّر عن الثقافة التي نشأ عليها وظل مخلصاً لها ورسم صورة مؤثرة لخصائصها في شعره.

5- امتدت ثقافة الاهتمام بالنسب والفخر بالأصول حتى العصر العباسي، وظهرت جلية في شعر أبي شراعة في إطار مدح الذات والآخر.

6- لم يدخل التكوين الأسلوبي والفني عند أبي شراعة في الإطار التركيبي الخيالي العميق، وهو بهذا الأسلوب لم يخرج عن تأثّره بالثقافة البدوية القديمة في الأساليب الشعرية ذات التناول الحسّي البعيد عن الخيال المغرق، ومن ثمَ البعيد عمّا شهده الشعر العباسي في جزئه الأول من حركات التجديد في الشعر من حيث المباني والمعاني.

7- أبرز أبو شراعة جملة من العناصر الاجتماعية المنبثقة عن ثقافة البادية، والتي ترسم صورة الرجل الكامل في نظره، وكان يفخر بوجودها في شخصه؛ فهو من الشعراء العباسيين الذين لم يقطعوا حبل الوصل مع جذورهم البدوية في المعاني التي كانوا يلحون عليها، والتي تمثل مكارم الأخلاق في ثقافة البادية.

8- سكنت المرأة وجدان الشاعر كما كانت عند الشاعر العربي في الثقافة البدوية، فابتدأ بها شعره، وباح باسمها ومشاعره نحوها، وقد تعددت أسماؤها عنده فأعطت زخماً مهماً لمعانيه وفكره المطروحة، وكانت علاقته بالمرأة تشكّل بؤرة ثقافية يتحقّق النص والدلالة الشعرية لديه من خلالها.

المصادر والمراجع:

1- ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992

2- ابن السائب الكلبي، هشام بن محمد: جمهرة النسب، تح: محمود فردوس العظم، فهارس، مجمد أديب الجادر، دار اليقظة العربية، دمشق، 1985

3- ابن الصمة، دريد: الديوان، تح: عمر عبد الرسول، دار المعارف، مصر، 1985

4- ابن العبد، طرفة: الديوان تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2002.
5- ابن المعتز: طبقات الشعراء المحدثين، تح: عبد الستار فراج، دار المعارف، مصر، ط2، 1968
6- ابن قارس: أحمد: مقاييس اللغة. تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979
7- ابن كلثوم، عمرو: الديوان، تح: إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996
8- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1997.
9- الأزهري: تهذيب اللغة، تح: علي حسن هلالي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1967
10- الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، تح: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، ط3، 2008
11- الأعشى الكبير: الديوان، تح: محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1950
12- البهبيتي، محمد نجيب: تاريخ الشعر العربي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1961
13- التميمي السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد: كتاب الأنساب، نشره: د. س مرجليوث، مكتبة المثنى، بغداد، 1970
14- التوحيدي، أبو حيان: الإمتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
15- جاسم، محمد جاسم: البداوة في شعر نزار قباني بين الرفض والمساواة، مجلة أبحاث كلية التربية الاساسية، مج:10، ع 3، 2013
16- الحراحشة، أحمد: الاتّساع، أسماء النساء في الشعر الجاهلي (هريرة أنموذجا)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة آل البيت، الأردن، مج 39، ع 3، 2012
17- الحصري القيرواني: جمع الجواهر، تح: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1953
18- حموي، صبحي، وآخرون: المنجد في اللغة المعاصرة، دار المشرق العربي، 2000
19- الحيص، فهد: أسماء النساء في قصائد الشعراء، مكتبة آفاق، 2011.
20- الخنساء: الديوان، شرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004
21- داوود، لميس: شعر ابن الدمينة، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2008
22- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار الملم للملايين، بيروت، ط15، 2002
23- سلام، محمد زغلول: دراسات في الأدب العربي: العصر العباسي "منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث"، منشأة المعارف، الإسكندرية.
24- الشعلاني، ناصر: قراءة في مفهوم الثقافتين عند سي بي سنو، جامعة الزاوية، المجلة الجامعة، ع 20، مج:2، أكتوبر 2018
25- صابر، محيي الدين و لويس مليكه: البدو والبداوة (مفاهيم ومناهج)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986
26- ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف المصرية، القاهرة، ط1، 1960
27- عبد الحميد، شاكر: التفضيل الجمالي، عالم المعرفة، الكويت، ع 276، 2001
28- عبد الرحمن، عفيف: معجم الشعراء العباسيين، دار صادر، بيروت، ط1، 2000
29- عطوان، حسين: الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مكتبة المحتسب، عمان، 2005
30- عنترة: شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي، قدم له ووضع فهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992
31- غيرتز، كليفورد: تأويل الثقافات، تر: محمد بدوي، مراجعة، بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009
32- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، 1985
33- القيسي، أبو شراعة: شعر أبي شراعة القيسي، صنعة: شاكر العاشور، دار تموز، دمشق، ط1، 2011
34- القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981
35- المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997

36- مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1983

37- مجموعة من الكتاب: نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، مراجعة: الفاروق زكي يونس، سلسلة عالم المعرفة، ع 223، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1997

38- مصطفى، مونسي و عبيدالله محمد: القيم الأخلاقية وجماليتها في الشعر الجاهلي /معلقة زهير بن أبي سلمى أنموذجاً/ رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2014

39- المظفر، بيان: شعر أبي شراعة القيسي جمع وتوثيق، مجلة آداب البصرة، ع 65، 2013.

40- ميكشيللي، إليكس، الهوية، تر: علي وطفة، دار النشر الفرنسية، دمشق، 1993

41- النجار، إبراهيم: شعراء عباسيون منسيون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، القسم الثاني: الجزء الأول.

42- هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، 1963

43- اليوزبكي، مؤيد: البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام، سلسلة رسائل جامعية، دار الشؤون الثقافية العامة، جامعة ميشيغان، 2008